دراسة سوسيولوجية في رواية حلم ثلاث سنوات

د. نعيم عموري (الكاتب المسؤول)
أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
n.amouri@scu.ac.ir
محمد عبدالله كاطع العوادي
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شهيد چمران أهواز، أهواز، إيران
Mama1976402@gmail.com

A Sociological Study of the Novel A Three-Year Dream

Dr. Naeem Amouri (Responsible writer)
Professor , Department of Arabic Language and Literature , shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran
Mohammad Abdollah Qate Al Awadi
PhD Student , Department of Arabic Language and Literature , shahid Chamran University of Ahvaz , Ahvaz , Iran

الملخص:-

تسبر هذه الدراسة أغوار رواية "حلم ثلاث سنوات" للروائي مصطفى رسول، عبر عدسة سوسيولوجية تكشف تداخل الفردي بالجمعي، والذاتي بالبُنى الاجتماعية المهترئة في العراق وما بعده. تنطلق الدراسة من مفهوم السوسيولوجيا بوصفه علمًا يفسّر الظواهر الاجتماعية في سياقها التاريخي والثقافي، لتبرز الرواية باعتبارها نصًا نابضًا بهموم مجتمع كامل، لا مجرد حكاية فرد مهاجر.

تناولت الدراسة أولًا الهجرة بوصفها فعلًا احتجاجيًا صامتًا ضد القمع، والبطالة، والحصار الاقتصادي الذي حرم الإنسان من أبسط حقوقه في وطنه. تجلّت الهجرة في الرواية لا كعبور جغرافي فحسب، بل كتمرد على واقع جائر، وسعي مرير نحو العدالة المفقودة. أما الطائفية، فقد حللها البحث كظاهرة تقسّم المجتمع، لكن الكاتب عكس من خلال زواج والدي البطل وصداقة شخصيات الرواية إمكانية تجاوز هذه الانقسامات حين ينتصر صوت الإنسانية على التعصّب.

وفي معالجة البطالة، كشفت الرواية عن أثرها العميق في كسر كرامة الفرد وتحويله إلى غريب حتى في وطنه، إذ تحوّلت البطالة من أزمة اقتصادية إلى لعنة نفسية واجتماعية تدفع الشباب إلى الهجرة القسرية بحثًا عن الكرامة الضائعة. كما تناول البحث الصراع الطبقي، موضحًا كيف سحق المال والنفوذ أحلام الفقراء، وحوّل الكفاءات إلى ظلال، بينما ظل البطل أنور مثالًا للمتمرد الذي يرفض بيع كرامته مهما اشتد عليه الفقر.امتدت الدراسة إلى سوسيولوجيا المجتمع الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فبينما صوّرت الرواية أمريكا قبل الحدث حضنًا مفتوحًا يرحّب بالآخر.

الكلمات المفتاحية: الرواية، السوسيولوجية، حلم ثلاث سنوات، مصطفى رسول.

Abstract:-

This study delves into the depths of the novel Three Years' Dream by the novelist Mustafa Rasool, through a sociological lens that reveals the interweaving of the individual with the collective, and the personal with the decaying social structures in Iraq and beyond. The study proceeds from the concept of sociology as a science that interprets social phenomena within their historical and cultural contexts, highlighting the novel as a text pulsating with the concerns of an entire society, not merely the story of an individual migrant.

Firstly, the study addressed migration as a silent act of protest against oppression, unemployment, and the economic blockade that deprived people of their simplest rights in their homeland. Migration in the novel manifested not only as a geographical crossing, but also as a rebellion against a tyrannical reality and a bitter pursuit of lost justice.

As for sectarianism, the research analyzed it as a phenomenon dividing society; yet, through the marriage of the protagonist's parents and the friendships among the novel's characters, the author reflected the possibility of overcoming such divisions when the voice of humanity triumphs over fanaticism.

In addressing unemployment, the novel revealed its profound impact in breaking an individual's dignity and turning him into a stranger even in his own homeland. Unemployment shifted from being an economic crisis to a psychological and social curse, pushing the youth into forced migration in search of their lost dignity.

The study also tackled class struggle, clarifying how money and influence crushed the dreams of the poor and turned talents into mere shadows; meanwhile, the protagonist Anwar remained an example of the rebel who refuses to sell his dignity no matter how severe his poverty becomes.

Key words: novel, sociology, Three Years' Dream, Mustafa Rasool.

المقدمة:ـ

تمثّل رواية حلم ثلاث سنوات للروائي مصطفى رسول نصًّا سرديًّا غزيرًا بالمعاني والدلالات الاجتماعية، إذ تتقاطع فيها الذات الفردية مع تحوّلات المجتمع العراقي في مرحلة شديدة التعقيد، وذلك عبر تتبّع سيرة شاب عراقي مهاجر، تكشف الرواية عن الأزمات الطائفية، والحصار الاقتصادي، والانكسار السياسي، والظلم والطغيان، أزمات شوّهت حياة العراقيين على مدار عقود من الزمن. تصوّر الرواية الهجرة على أنّها مخرجًا قسريًّا من واقع مأزوم، وليست خيارًا بملء الإرادة. وعليه، فإنّ هذه الدراسة تسعى إلى مقاربة الرواية مقاربة سوسيولوجية، تُبرز تفاعلات الفرد مع البنى الاجتماعية المحيطة به، وتُظهر كيف تتجلّى التحوّلات الكبرى في تفاصيل الحياة اليومية، وفي أعماق الشخصيات التي تحمل في وجعها ملامح جيلٍ بأكمله.

"وقد قسمنا البحث إلى قسمين: تناول القسم الأول الجانب النظري، حيث تم التعريف بالمفاهيم الأساسية والسيرة الذاتية للروائي، بينما تناول القسم الثاني الجانب التحليلي، مسلطًا الضوء على ظاهرتي الهجرة والاغتراب كظاهرتين اجتماعيتين، بالإضافة إلى مناقشة موضوع الطائفية، والأحداث التاريخية، والهوية الوطنية."

أسئلة البحث:

١. كيف تعكس الرواية تأثير الهجرة والاغتراب في تشكيل الوعي الجمعي وسط الصرعات داخل المجتمع؟

٢. كيف تجسد الرواية تمزق الهوية الوطنية بين الوطن والمنفى؟

فرضيات البحث:

١. تُجسِّد رواية "حلم ثلاث سنوات" الهجرة بوصفها فعلًا قسريًا يعكس مأزق الهوية والبحث عن الذات المفقودة.

٢. تُعيد الرواية إنتاج بنية الطائفية والبطالة كعائقين يعرقلان إمكانات الحلم الإنساني، لتُظهِر كيف تتشابك هذه الظواهر مع اغتراب الفرد في المجتمع العراقي.

خلفية البحث:

شهد العراق خلال العقود الأخيرة تحولات جذرية على المستويين السياسي والاجتماعي، تجلت في الحروب المتعاقبة، والحصار، وسقوط النظام، وما تبعه من فوضى أمنية وصعود للطائفية. كل هذه العوامل دفعت الكثير من الشباب إلى الهجرة، بحثًا عن الأمان أو فرص لحياة كريمة، رغم ما يرافق ذلك من معاناة الغربة وتمزق الهوية وعنصرية المجتمع الغربي التي بلغت أوجها بعد أحداث ١١ سبتمبر. وقد انعكست هذه التحولات بقوة في النتاج الروائي العراقي، الذي أصبح مرآة تعكس الواقع وتعيد طرح الأسئلة الكبرى حول الانتماء، الوطن، والهوية.

وتأتي رواية "حلم ثلاث سنوات" كواحدة من النصوص التي تناولت هذه القضايا من منظور فردي يحمل في طياته أبعاداً جماعية، مما يجعلها مادة مناسبة للتحليل السوسيولوجي لفهم ديناميكيات الهجرة والاغتراب، وأثر الطائفية على الفرد والمجتمع، في ظل فقدان المعايير والاستقرار.

الدراسات السابقة:

١. "سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر" مذكرة مكملة لنيل الماجستير إعداد الباحثة" صالحة عباسي" جامعة العربي بن مهدي -أم البواقي- كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وآدابها، قسم الأدب واللغة العربية الجزائر ٢٠١٢م. تناولت الدراسة كيف تلقى النقاد المغاربة (المغرب العربي) لسوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاته، وقد عرض الباحث نماذج آراء عدد من النقاد الجزائريين، ونماذج من آراء النقاد المشارقة (المشرق العربي) محاولاً من جهة ابراز فاعلية مقاربة النصوص الأدبية من منظور سوسيولوجيا النص الأدبي باعتبارها منحت إمكانية الربط بين السياق الذي كان مهتمًا بالحتمية، وبين البنية الداخلية للنص التي كانت متهمة بالانغلاق والعزلة.

٢. دراسة سوسيونصية في رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي" بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكّمة، العدد التاسع عشر، ٢٠١٤ لطالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها روشنفكر جامعة تربيت مدرس، إيران،

فاطمة أكبرى. قامت هذه المقالة بدراسة البناء الداخلي لهذه المدونة السردية النسائية، بأسلوب وصفي تحليلي، في ثلاثة مستويات: الأساليب الكلامية، ونوعية الروي والضمائر السردية، والمنظور الأيديولوجي، لكشف أسلوب الرواية في إقامة العلاقات الحوارية بين الأصوات في مجتمع النص حسب النقد السوسيونصي.

٣. النقد السوسيولوجي بين المنهج التجريبي والمنهج البنيوي والتكويني بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد:٨ عدد: ٥ السنة ٢٠١٩م، صفحة:٤٨-٦٣، لطالبة الدكتوراه نادية لخداري، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان(الجزائر). يتطرق هذا البحث تتبع مسار النقد السوسيولوجي واتجاهاته لمعرفة تطوره في ضوء النظريات النقدية التي ظهرت في هذا السياق، بهدف الكشف عن الآيات المنهجية والأدوات الإجرائية للبحث في مجال الدراسة الاجتماعية للأدب.

يذكر إن بحثنا هذا يعتبر صاحب الريادة الأولى في دراسة رواية "حلم ثلاث سنوات" للروائي" مصطفى رسول " لذلك استعنا بالدراسات السابقة المشابهة للموضوع.

القسم النظري: المفاهيم والروائي:

إنّ ولوج عالم الرواية من منظور سوسيولوجي يستلزم تأسيس أرضية مفهومية متينة، يُستضاء بها لفهم الأنساق الاجتماعية المتداخلة التي تحكم بنية النص وتشكّل خطاب الشخصيات وتحولات السرد. ولما كانت رواية "حلم ثلاث سنوات" للروائي "مصطفى رسول" نصًا سرديًا مشبعًا بالرموز والدلالات التي تُحيل إلى واقع اجتماعي مضطرب، فقد بات لزامًا علينا أن نستنطق المفاهيم المحورية التي تنهض عليها هذه الدراسة، بغية تفكيك الظواهر الاجتماعية التي تتبدّى في ثنايا السرد، كالهجرة، والطائفية، والاغتراب، والبطالة، فضلاً عن مفهوم "الحلم" بوصفه مرآةً تعكس تشوّهات الواقع وآماله المؤجّلة.

وسنعمد في هذا القسم إلى استجلاء المفاهيم السوسيولوجية الأساسية التي تشكّل عدسة تحليلية نُقارب من خلالها النص الروائي، مستندين إلى مناهج علم الاجتماع الأدبي، ومستفيدين من الأطروحات النظرية التي قاربت الأدب كنتاج اجتماعي يتفاعل مع بنية المجتمع، ويعكس تحوّلاته، بل ويعيد إنتاجها فنيًا.

١. مفهوم السوسيولوجيا

أولًا: لغةً:

" Sociology السوسيولوجيا " كلمةٌ مشتقة من اللغة اللاتينية واليونانية، تتكون من مقطعين: الأول "logia" ويعني العلم أو الدراسة، والمقطع الثاني "Socius" يعني الرفيق أو الجماعة " وعليه فهي تعني علم الجماعة. أو "علم المجتمع".[١] وبذلك فإن السوسيولوجيا تعني "دراسة الجماعة البشرية.

ثانيًا: اصطلاحًا:

السوسيولوجيا، أو علم الاجتماع، هي علم يُعنى بدراسة المجتمع الإنساني، ويهدف إلى تحليل العلاقات الاجتماعية، وفهم البُنى والمؤسسات التي تنظم الحياة الجماعية، إلى جانب تفسير الظواهر الاجتماعية في سياقها التاريخي والثقافي.

وقد عرّفها أبرز المنظرين بالمفاهيم التالية:

إميل دوركايم[٢]: (1(Émile Durkheim.

"علم الاجتماع هو العلم الذي يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء قائمة بذاتها، لها وجود خارجي مستقل عن الأفراد"[٣].

أوغست كونت[٤]: (Auguste Comte2).

"السوسيولوجيا هي العلم الذي يبحث في القوانين العامة لتطور وتنظيم المجتمعات البشرية"[٥].

٣.عبدالكريم غريب[٦]: "علم الاجتماع هو الدراسة العلمية للمجتمع من حيث تكوينه، وتطوره، وتنظيم العلاقات بين أفراده ومؤسساته"[٧].

٢. الروائي:

وُلد الروائي والأكاديمي **مصطفى رسول فاخر السوداني** في الثامن من شباط/فبراير عام ١٩٨٩، في مدينة العمارة بمحافظة ميسان جنوب العراق. ينتمي إلى أسرة عريقة من بطن

"السودان" التابع لقبيلة "كندة" العربية المعروفة، وهي أسرة لها جذورها في بيت الرئاسة داخل القبيلة، ما أضفى على نشأته طابعًا من الانضباط والاعتزاز بالهوية.

نشأ مصطفى في كنف والدين يعملان في مجال التربية والتعليم، فكان والده خريج قسم الاجتماعيات من جامعة البصرة، ووالدته حاصلة على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية من الجامعة نفسها، مما وفر له بيئة ثقافية وتعليمية خصبة أسهمت في تشكيل وعيه المبكّر وتوجهاته المعرفية.

نال شهادة **البكالوريوس في إدارة الأعمال** من **جامعة ميسان** عام ٢٠١١، ثم واصل مسيرته الأكاديمية في الخارج، حيث حصل على **درجة الماجستير في إدارة الأعمال - تخصص الموارد البشرية** من جامعة **BAMU** في الهند، وهي واحدة من الجامعات المرموقة في مجال الدراسات الإدارية.

على الصعيد المهني، عمل في المجال الأكاديمي منذ عام ٢٠١٤، حيث شغل موقعًا تدريسيًا في كلٍّ من جامعة ميسان و**كلية الإمام الكاظم** و**جامعة الإمام الصادق**، وساهم في إعداد جيل من الطلبة في حقل الإدارة والموارد البشرية.

إلى جانب مسيرته الأكاديمية، يُعد مصطفى رسول كاتبًا روائيًا له بصمته الخاصة، فقد شارك بروايته (حلم ثلاث سنوات) في جائزة زايد للرواية العربية سنة ٢٠٢٢. كما تشارك حاليًا روايته الثانية (حصاد الفجر) في مسابقة كتارا للرواية العربية/ فرع الرواية غير المنشورة لعام ٢٠٢٥.

يتقن الروائي اللغتين **العربية** و**الإنجليزية**، ويظهر في كتاباته تأثر واضح بأسماء أدبية مرموقة؛ من بينهم الروائي المصري الكبير **نجيب محفوظ**، والكاتب الكبير **أحمد خالد توفيق**، كما يستلهم من أعمال الأدباء العالميين، أبرزهم الروائي الفرنسي **غيوم ميسو**، والأمريكي **دان براون** و**الأفغاني خالد حسيني وغيرهم**. بالإضافة إلى نشره عددًا من البحوث الأكاديمية، تحوّل أحد تلك البحوث إلى كتاب يتناول التحولات التي مرَّ بها الاقتصاد العراقي(٨).

تجمع شخصية مصطفى رسول بين الجدية الأكاديمية، والرؤية الإبداعية، والجذر الثقافي

العربي الأصيل، ما يجعل سيرته مرآة لتجربة عراقية معاصرة تتأرجح بين الفكر، والتعليم، والأدب.

٢.القسم التحليلي:

يُعد التحليل السوسيولوجي للأدب أداة فعالة لفهم التحولات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها الأفراد داخل مجتمعاتهم، لاسيما في فترات الأزمات والصراعات. فالظواهر مثل الهجرة، الاغتراب، الطائفية، وتفكك الهوية الوطنية، ليست مجرد موضوعات عابرة في النص الأدبي، بل تمثل انعكاسات عميقة لتغيرات بنيوية عاشها المجتمع. وتكتسب هذه الظواهر أهمية خاصة عندما تعبّر عنها رواية واقعية، تستند إلى معايشة حقيقية لعالم متصدّع، فتتحول الشخصيات والسرد إلى مرآة للواقع الاجتماعي بكل تعقيداته.

وفي هذا السياق، تسلط رواية "حلم ثلاث سنوات" الضوء على هذه الظواهر، من خلال تصويرها لتجربة إنسانية تعكس أزمات مجتمعها. إذ تتقاطع في النص مشاعر الانتماء والرفض، الأمل واليأس، الوطن والمنفى، مما يجعلها مادة خصبة للتحليل السوسيولوجي، بعيدًا عن الجانب الفني فقط. فالرواية لا تروِي حكاية فرد فحسب، بل تعبّر عن همّ جماعي، وتجسّد تمثيلات اجتماعية مركبة لواقع ما بعد الصدمة.

انطلقنا في هذا القسم عبر محاور متعددة نكشف فيها دلالات سوسيولوجيا المجتمع العراقي التي عكسها الروائي، مجسداً صراعاته الاجتماعية في نصه:

١.الهجرة كظاهرة اجتماعية:

الهجرة ظاهرة اجتماعية معقّدة، تعكس اختلال التوازن بين الإنسان ومحيطه، وتفضح هشاشة الأوطان حين تعجز عن احتضان أبنائها، فمنذ فجر التاريخ، ارتحل الإنسان بحثًا عن الأمن والرزق والكرامة، لكن في العصر الحديث، اتخذت الهجرة أبعادًا أكثر تعقيدًا، وصارت مرآة تعكس الأزمات البنيوية في المجتمعات.

تتعدد أسباب الهجرة، لكنها غالبًا ما تتقاطع في ثلاث دوائر رئيسية:

- اقتصادية، حين تتفشى البطالة، وتغيب العدالة في توزيع الثروات، ويُغلق باب الرزق في وجه الطموحين، فتصبح الهجرة خيارًا لا مفر منه، بحثًا عن لقمة كريمة وفرصة

لحياة أفضل.

- وقد تكون سياسية، في ظل الأنظمة القمعية، وانعدام الحريات، وتفشي الفساد، حيث يُدفع المواطن دفعًا إلى المنفى، لا لأنه يطلب المزيد، بل لأنه لم يعد يحتمل القليل.
- وأحيانًا تكون أمنية، حين تتصاعد الحروب، وتتهدد الجماعات المسلحة حياة الأبرياء، وينهار النظام المؤسسي، فيغدو الهروب من الوطن فعلَ نجاة، لا خيارًا، وتصبح الهجرة رحلة في المجهول، لكنها رغم ذلك، أكثر أمنًا من البقاء في وطن بات الموت الجماعي فيه ظاهرة مألوفة، ولعل ما عبّر عنه عالم الاجتماع "بيير بورديو"(١٩٣٠-٢٠٠٢)[٩] يلخّص جوهر هذه الظاهرة حين قال: "الهجرة ليست فقط انتقالًا جغرافيًا، بل هي تعبير عن رغبة في تجاوز شروط الحياة غير العادلة، إنها شكل من أشكال الاحتجاج الصامت على توزيع الثروات والفرص"[١٠].

في هذا الإطار، هاجر أنور حامد بطل الرواية من وطنه المثقل بالجراح، مدفوعًا بمرارة الحصار الاقتصادي الذي خنق أنفاس الحياة في تسعينيات القرن العشرين. لقد انتمى إلى جيلٍ كُتب عليه أن يكبر تحت وطأة الظلم، حيث غابت فرص العمل، وضاعت الأحلام في زحام القهر والمعاناة، وكانت الهجرة لديه فعلَ مقاومة صامت، تمامًا كما وصفها بورديو، مقاومة تنبض بالأمل أكثر مما تعبّر عن اليأس، وعلى طريق المنفى، بعد نصف يوم شاق في السيارة من بغداد إلى عمّان، جلس أنور في صمت، يتأمل ملامح وجهته المجهولة، مرددًا في أعماقه،" هل سيقودني القدر إلى أمريكا أو أوروبا، أو ربما أستراليا؟ كلها دول العيش فيها حلم، والنجاح مضمون لكل مجتهد، وكرامة الإنسان فيها محفوظة"[١١].

وفي ضوء هذا التحليل، يتبيّن أنّ الهجرة في نص الرواية لم تكن مجرّد حركة عبور نحو جغرافيا جديدة، بل كانت تجسيدًا لصرخة احتجاج على الظلم والحرمان، ومحاولة لاستعادة كرامة الإنسان المهدورة. إنها فعل مقاومة صامت، يحكي عن ضياع الهوية والأحلام تحت وطأة القمع والفقر، كما يحكي عن توقٍ دفينٍ للأمن والحرية وصون كرامة الإنسان. هكذا، يظهر أنّ الهجرة في هذا السياق ليست قدرًا محتومًا فحسب، بل أيضًا خيارٌ واعٍ للتمرد على واقعٍ جائر، وسعيٌ مشروعٌ لتحقيق الذات في عالمٍ يعِدُ بالعدل والكرامة.

وبذلك، يصبح بطل الرواية أنور حامد رمزًا لجيلٍ مقهور، يرفض الموت البطيء في وطنٍ لم يعد يُنصِت لآماله ويسحق أحلام الأجيال بأقدام قذرة، يغامر أنور بعبور المجهول بحثًا عن وطنٍ بديلٍ، يُنصِت ويحتضن.

٢. الطائفية كظاهرة اجتماعية:

تُعَدُّ الطائفيةُ ظاهرةً اجتماعيةً متجذّرةً في المجتمعات ذات التعدُّد الديني أو المذهبي، إذ تؤدّي إلى انقسام المجتمع إلى فِرَقٍ متناحرة، ما يهدِّد وحدتَهُ واستقرارَهُ. وهي تنشأ بفعل التمييز على أساس الانتماء الطائفي، وتتغذّى من رواسب التاريخ والصراعات السياسية والمصالح الضيقة، فتزرع بذور الكراهية وتعيق مسارات التقدُّم والتنمية. وقد لخّص عالم الاجتماع العراقي علي الوردي (١٩١٣-١٩٩٥) هذه الظاهرة بقوله:

"إن الطائفية لا تنبع من الدين ذاته، وإنما من التعصّب الاجتماعي الذي يُستغلّ لتحقيق مصالح ضيّقة، فتتحوّل إلى أداةٍ للهدم بدلًا من أن تكون عاملًا للتلاحم".[١٢] وفي هذا السياق، حاول الكاتب من خلال إبراز قصة زواج والدي بطل الرواية أنور، إظهار الوجه الآخر للعراق الموحَّد الذي يتخطّى هذه الانقسامات الطائفية. ففي المقتبس الوارد في النص، يقول:

"أنا أنور حامد، ولدت في الرابع من شهر أغسطس من عام ١٩٧٣ في مدينة كربلاء المقدسة وسط العراق، تحديدًا في حي النصر في مركز المدينة. والدي النقيب حامد فرحان، ووالدتي هي السيدة آمال مصلح، مدرّسة اللغة الإنجليزية التي انتقلت من تكريت للعيش مع والدي في كربلاء منذ زواجهما عام (١٩٦٧). رزق أبي وأمي بمولودهما الأول ياسر ثم البنتين إيمان وغفران، وأنا آخر أفراد العائلة وطفلها المدلل"[١٣].

هذا المقتبس يقدّم مشهدًا إنسانيًّا عميق الدلالة، حيث يقترن الضابط الشيعي القادم من كربلاء بامرأة سنّيّة من تكريت، متحدّين بذلك التقاليد والقيود الطائفية. لقد صوّر الكاتب هذا الزواج الذي تم عام ١٩٦٧ قبل اشتداد موجات العنف الطائفي، ليجعل منه رمزًا لعراقٍ واحدٍ، لا تُفرّق أبناءه المذاهبُ بقدر ما توحّدهم إنسانيتهم وآمالهم المشتركة. ولتعزيز هذه الرؤية الإنسانية الجامعة، أشار الكاتب إلى صديق أنور، قائلاً:

"ذهب أنور مع عمر، وهو شاب من محافظة ديالى...." (١٤).

هذا الاقتباس، وإن بدا عابرًا، يحمل في طيّاته دلالةً رمزيةً مهمّة؛ فهو يوثّق صداقةً بين شابّين من محافظتين مختلفتين، كربلاء وديالى، ينتميان إلى طائفتين مختلفتين، لكنّ الصداقة جمعتهما في درب واحد، بعيدًا عن أي انقسام طائفي. ينسجم هذا الطرح مع رؤية علي الوردي، الذي يؤكّد أنّ الطائفية ليست نابعةً من جوهر الدين، بل من التعصّب الاجتماعي والمصالح الضيّقة التي تُعيد إنتاج الانقسامات.

وهكذا، يُمثّل زواج والدي أنور وصداقة أنور بعمر نموذجين حيّين على إمكانية تجاوز هذه الانقسامات. فالأم القادمة من تكريت تخلّت عن موطنها الأصلي لتعيش في كربلاء جنبًا إلى جنب مع زوجها، وصديق أنور عمر السنّي من ديالى رافقه في مغامراته، وكأنّ العراق يقول لأبنائه: إنّ وحدة الدم والتاريخ أقوى من كلّ انقسام.

ويتجلّى من هذا التحليل أنّ الكاتب أراد أن يكشف عن الوجه الإنساني للعراق، والذي يتجاوز الطائفية والانقسامات المصطنعة. لقد قدّم لنا نماذج حية - كزواج والدي أنور وصداقة أنور بعمر - تُبرهن على أنّ التعايش ممكن متى ما غلّب الأفراد القيم المشتركة على العصبيات الضيقة. وهكذا، فإن النص لا يقف عند حدود عرض مظاهر الطائفية فحسب، بل يتجاوزها ليقدّم رؤية أملية: أنّ العراق، رغم جراحه، يظل وطنًا واحدًا متى ما انتصر صوت المحبة على صوت التفرقة. من هنا، يصبح هذا السرد الأدبي ليس مجرّد توثيق لحياة أفراد، بل دعوة صريحة إلى نبذ التعصب والاحتكام إلى ضمير الإنسانية الذي يجمعنا، لنحفظ وحدة العراق ونجعلها جسرًا للتقدم والسلام.

٣. البطالة كظاهرة اجتماعية:

تُعدّ البطالة من أخطر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي تواجه المجتمعات المعاصرة، إذ تتجاوز أبعادها مسألة غياب الدخل لتطال كرامة الإنسان وهويته المهنية. فهي تُفضي إلى فقدان الثقة بالنفس وتُضعف الانتماء إلى المجتمع، كما تفتح أبواب الهجرة بحثًا عن حياة كريمة، وفي رواية حلم ثلاث سنوات، يجسد الراوي هذه الظاهرة بلسان بطلها أنور حامد، الذي يقول:

"سأرحل إلى الولايات المتحدة يا صديقي، أخيرا سيعوضني الله عما حل بي. سأعيش في بلد حيث لا موت ولا ظلم أو جوع. أخيرا سأعمل فيما حلمت فيه. لن أكون مهندس الإلكترونيات الذي يعمل في البناء أو الزراعة"(١٥).

هذا المقطع يكشف عمق المأساة التي يعيشها الشاب، حين يُجبر على ممارسة عمل لا يليق بتعليمه ولا يحقق طموحه، في ظل مجتمعٍ يفتقد العدالة في توزيع الفرص ويترك المتعلمين عرضةً للبطالة والتهميش، ويُضاف إلى ذلك صوت الأم، الذي يعكس إدراكًا عميقًا لحجم الظلم الاجتماعي الذي يُثقل كاهل ابنها. تقول أم أنور:

"اذهب يا ولدي وتابع أحلامك ولا تفكر بالعودة إلى العراق، لقد نلت كفايتك من الظلم هنا"(١٦).

هنا تبرز صورة الأم التي تدرك أنّ وطنها صار مكانًا للطرد لا للاحتضان، وأن استمرار ابنها في البقاء يعني مزيدًا من الذل وضياع الكرامة. هذه الكلمات تكشف بوضوح كيف تتحوّل البطالة من أزمة مادية إلى أزمة نفسية واجتماعية، تدفع حتى أكثر الناس وفاءً للوطن إلى الإقرار بأن الهجرة هي المخرج الوحيد.

ويؤكّد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر(١٨٦٤-١٩٢٠)(١٧) في هذا السياق:

"إن العمل ليس مجرد نشاط اقتصادي، بل هو تعبير عن الذات، وعندما يُحرم الأفراد من العمل الملائم، يُحرمون أيضًا من جزء من إنسانيتهم"(١٨).

بهذا، يلتقي صوت الأم وصوت الابن مع رؤية فيبر: فغياب العمل اللائق لا يعني فقط غياب الدخل، بل يعني سلب الإنسان لجوهر ذاته ومعناه، وتحويله إلى غريبٍ في وطنه.

وهكذا تتجلّى البطالة في هذه الرواية، ليس كرقمٍ إحصائي أو ظاهرة عابرة، بل كجرحٍ غائر في الروح، يلاحق الفرد ويمتد ليشمل الأسرة والوطن بأكمله. يظهر في صوت الأم حزنٌ خفيٌّ وإقرارٌ بمرارة الواقع، وفي صوت الابن إصرارٌ على الهجرة كوسيلة للنجاة. يتقاطع الأدب مع علم الاجتماع ليبيّن لنا أنّ البطالة تحرم الإنسان من جوهره، وتدفعه إلى اقتلاع جذوره والبحث عن وطنٍ جديدٍ يعيد إليه كرامته المفقودة، وفي مشهدٍ يفيض شجنًا وواقعيةً، تقول أمّ أنور: "اذهب يا ولدي وتابع أحلامك ولا تفكر بالعودة إلى العراق، لقد

نلت كفايتك من الظلم هنا"، لتتحوّل كلماتها إلى شهادةٍ صريحة على عمق أزمة البطالة وتداعياتها المدمّرة. إنها لا تواسيه بوعود زائفة ولا تتمسّك بتراب الوطن، بل تُدرك أن الفقر والحرمان قد سرقا من ابنها أحلامه وشبابه، وأن البقاء في الوطن يعني المزيد من الإهانة والتهميش. هكذا تتجلّى البطالة، كما وصفها ماكس فيبر: "إن العمل ليس مجرد نشاط اقتصادي، بل هو تعبير عن الذات، وعندما يُحرم الأفراد من العمل الملائم، يُحرمون أيضًا من جزء من إنسانيتهم".

يتشابك صوت الأم المكلومة مع صوت الابن الذي قال: "لن أكون مهندس الإلكترونيات الذي يعمل في البناء أو الزراعة"، ليكشفا معًا أنّ انعدام تكافؤ الفرص لا يحرم الفرد من الرزق فقط، بل يسلبه كيانه وهويته، ويدفعه إلى هجرةٍ قسرية بحثًا عن وطنٍ بديل يعيد إليه كرامته المفقودة. ولعلّ هذا الوجع الإنساني الذي يتكرّر في الأدب - من غسان كنفاني في "رجال في الشمس"[١٩] إلى فيكتور هوغو في "البؤساء"[٢٠] - يؤكّد أنّ البطالة ليست مجرد ظاهرة اقتصادية، بل هي لعنةٌ اجتماعية ونفسية تُغلق أبواب الأمل وتجعل الهجرة خلاصًا أخيرًا لمن لا يجد في وطنه سوى الظلم والحرمان وبهذا يتضح أنّ البطالة، كما رسمتها شخوص رواية حلم ثلاث سنوات وكما حللها ماكس فيبر وغيرهما من المفكرين، ليست مجرد حالة عابرة من العوز، بل هي تجلٍّ صارخ لغياب العدالة الاجتماعية وانسداد الأفق في وطنٍ لا يقدّر طاقات أبنائه. في صوت أنور المهاجر وأمه المكلومة، نسمع صدى ملايين الفقراء والمهمّشين، الذين حُرموا من العمل الذي يستحقونه، فخسروا بذلك جزءًا من إنسانيتهم. إنّ هذا التحليل لا يقف عند حدود الأدب، بل يتجاوزها ليطرح تساؤلًا أخلاقيًا واجتماعيًا: أي مستقبل لوطنٍ يدفع أبناءه إلى الهجرة بدلًا من احتضانهم؟ وأي قيمة لوطنٍ يُقصي كفاءاته ولا يمنحها فرصة الإبداع والنمو؟

هكذا، تكتمل أمامنا صورة البطالة كظاهرة اجتماعية مدمّرة تُهدّد السلام النفسي للأفراد وتُضعف تماسك المجتمع بأسره، وتجعلنا ندرك أنّ العدالة وتكافؤ الفرص ليسا مجرد شعارات، بل هما صمّام أمان لحياةٍ إنسانية كريمة، تضمن للجميع حق العمل وتحميهم من ضياعٍ لا ينتهي.

٤. صراع الطبقات والإحساس بالظلم كظاهرة اجتماعية:

في رواية "حلم ثلاث سنوات" تتجلى ظاهرة الصراع الطبقي بأبشع صوره، لتكشف لنا عن واقع اجتماعي مأزوم تتحكم فيه قوى المال والسلطة، وتُسحق فيه كرامة الفقراء ومواهبهم. تبرز القصة صراعًا داخليًا وخارجيًا، بطله أنور، الشاب الفقير المتفوق، في مواجهة عالمٍ تقوده لبنى، الفتاة الغنية المغرورة، ابنة التاجر شيروان، الذي يملك معرض سيارات فارهة.

لقد جمع الكاتب في هذه الحكاية بين توتر اجتماعي عميق وحبكة درامية تحاكي الصراع الأزلي بين المال والكرامة. وبينما تتعامل لبنى مع الشباب باستعلاء وتبخيس، يظل أنور رمزًا للشاب المكافح، الذي لا يرى في المال سوى سراب زائف. وكأنه يردد قول كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)[٢١]:

"إن الطبقات الغنية لا ترى في العامل سوى وسيلة لتحقيق الربح"[٢٢]

في مواجهة لبنى، نرى أنور يرفض هداياها الثمينة، بما فيها الساعة السويسرية الفاخرة التي أهديت له في عيد ميلاده، ليفجر بداخلها أسئلة موجعة:

" أيّها التافه الفقير لقد أهديتكَ ساعة سويسريّة سعرها يتجاوز سعر المنزل الحقير الذي يأويكَ.. أحمق كعادتكَ ترفض اقتناء ما هو ثمين.. ستعيش فقيراً وتموت فقيراً.. تستحق الشقاء الذي يغلّف حياتكَ البائسة.. هل تعلم إنَّ الفقر يليق بكَ؟ [٢٣]"

لكن أنور يرد عليها ببرود يليق بكرامته المجروحة:

"أفضل العيش في منزلي الحقير على قصور لا يجمع ساكنيها سوى السور الخارجي"[٢٤].

سياق اجتماعي تاريخي:

تدور أحداث الرواية في تسعينيات العراق، حين كانت التفاوتات الطبقية صارخة، والفساد السياسي ينخر المؤسسات. فقد كانت الوظائف الحكومية تُمنح للمحسوبين على النظام أو أصحاب النفوذ، حتى لو كانوا أقل كفاءة، كما حدث مع أنور حين حُرِم من التعيين في الجامعة رغم تفوقه، لتُعطى الوظيفة لابنة أحد المتنفذين.

هنا يلتقي النص مع تجارب أدبية أخرى، مثل قصة "بين القصرين والصريفة" التي

ترصد الفوارق الطبقية في بغداد منتصف القرن العشرين، وكذلك "بنت الباشا وابن الجنيني"، حيث تُستخدم السلطة والمال كأدوات لاستغلال الضعفاء وسحق أحلامهم.

الوجه المأساوي للحرمان الطبقي:

حين عاد أنور إلى كربلاء منكسراً ولم يجد في المدينة سوى صدى خيبة جديد، ضاقت الأرض بما رحبت بأنور، بعدما تبخرت آماله في العمل في الجامعة وإكمال دراسته العليا، الحلم الذي راوده منذ أن وطأت قدماه الحرم الجامعي. عاد إلى كربلاء منكسراً على الرغم من تفوقه في الدراسة، وأكمل خدمته العسكرية الإلزامية على مضض في معسكر للجيش شمال البلاد، ومرت أيام الخدمة العسكرية البائسة ببطء[٢٥].

هذا الوصف المكثف يحاكي قصص كثير من الشباب العراقيين الذين وجدوا أنفسهم فجأة بين مطرقة الحرب وسندان الفقر، فصار الطريق إلى حلمهم مغلقًا ببوابات السلطة والنفوذ.

شخصيات مشابهة في الأدب العربي:

شخصية أنور هنا تتقاطع مع أبطال آخرين من الأدب العربي، مثل "سعيد مهران" في رواية اللص والكلاب[٢٦] لنجيب محفوظ، الذي يدفعه الإحساس بالظلم الطبقي إلى التمرد. كما تشبه شخصية "سعد" في رواية" شرق المتوسط"[٢٧] لعبد الرحمن منيف، الذي تحاصره مؤامرات السلطة والنخبة بينما يظل مؤمنًا بحلمه، حتى لو كان هذا الحلم يبدو بعيد المنال.

تكشف لنا هذه الرواية أنّ الصراع الطبقي ليس مجرد وهم روائي، بل حقيقة اجتماعية تؤسس لعالمٍ مزدوج: عالم يُشترى بالمال، وآخر يُصان بالعزة والكرامة. لقد انتصر أنور في معركته الصغيرة: لم يبع نفسه بثمن بخس، حتى لو خسر وظيفته أو ضاع حلمه.

وهكذا، يُذكرنا النص أنّ المجتمعات التي لا تعرف سوى لغة المال، تصنع قلوبًا متحجرة. لكن يبقى هناك دائمًا من لا يخون ذاته، ولا يبيع شرفه، ليقف وحيدًا في وجه الظلم صارخًا:

"إن الفقر يليق بي أكثر من الغنى الملوث بالذل!"[٢٨]

ثانياً: الدلالات السوسيولوجية لصراعات المجتمع الأمريكي في الرواية:

شكّلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر نقطة تحول عميقة في البنية السوسيولوجية للمجتمع الأمريكي، إذ كشفت عن تصدّعات كانت مستترة خلف خطاب الحرية والتعددية حقوق الأقليات. ففي رواية حلم ثلاث سنوات، يقدّم الراوي رؤية نقدية تنبش في عمق هذا المجتمع، كاشفًا عن صراعاته الداخلية وتوتراته المتفاقمة، لا سيما تجاه المهاجر والآخر المختلف. ومن خلال مسار الشخصية المحورية، تتجلى التحولات الاجتماعية والنفسية التي طرأت على الواقع الأمريكي، بدءًا من حالة الانفتاح النسبي التي سبقت تلك اللحظة المفصلية، وصولًا إلى مرحلة ما بعد الصدمة، حيث تسللت مشاعر الشك والخوف إلى تفاصيل الحياة اليومية. وانطلاقًا من هذا التصور، ينقسم هذا القسم إلى محورين:

الأول: يتناول ملامح المجتمع الأمريكي كما رآها الراوي قبل أحداث ١١ سبتمبر:

أمريكا قبل الحادي عشر من سبتمبر: حضنٌ مفتوح أم سحابة مؤقتة؟

قبل أن يُدوِّي صوت الانفجار في قلب نيويورك، كانت الولايات المتحدة تبدو في عيون القادمين من الشرق فردوسًا دنيويًا، أو هكذا أوحت مشاهدها الأولى. كانت بواباتها مفتوحة للمهاجرين، وقوانينها تحتضن اللاجئين، ومجتمعها على تنوّعه يُقدّم نفسَه بوصفه تجسيدًا عمليًا لفكرة التعددية والحرية واحتضان الاختلاف بأذرع الإنسانية. لم يكن الانتماء الديني أو العرقي عائقًا أمام التعايش، بل كثيرًا ما كان سببًا في الاحتفاء والتقارب. كانت أمريكا كما ظهرت آنذاك لا تزال تؤمن أن الآخر، أيًا كانت ملامحه أو خلفيته، يحمل معه ما يُثري نسيجها الاجتماعي، لا ما يهدده. هذه الصورة، التي قد تبدو اليوم حالمة أو بعيدة، تتجلّى بصفائها في رواية "حلم ثلاث سنوات"، حيث يصوّر الراوي المجتمع الأمريكي كما اختبره البطل قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حين كان القادم العربي يُعامل بإنسانية مجردة من الأحكام المسبقة، ويُحتضن بوصفه إنسانًا، لا ملفًا أمنيًا.

في أحد المشاهد، نرى أنور، المهاجر الشاب، جالسًا في ركن من قاعة الوصول، غارقًا في حيرته، متصنعًا الانشغال، بينما جسده يفضح قلقه:

"فتح الصفحة الأولى للمفكرة، وحاول إخفاء حيرته وقلقه خلف ستار الكتابة... لمحه الرجل الأجنبي وهو يتصنّع الانشغال... عرف على الفور أن أنور متوتر، وربما تلك هي

رحلته الأولى..."

هكذا، ومن دون معرفة مسبقة، يتقدّم إليه السيد تود هاريس، وزوجته أماندا، ويبدأ بينهما حوارٌ وديّ، خالٍ من الريبة أو التعالي. يُعرّف الرجل بنفسه، ويُسدي نصيحة صادقة:

"إن كنت ذاهبًا للعيش في الولايات المتحدة، فعليك الكتابة باللغة الإنكليزية..."[٢٩].

لا ينتهي اللقاء عند حدود المجاملة، بل يتطوّر إلى دعوة غير مباشرة للعيش في نيويورك، وإلى تقديم بطاقة العمل الخاصة، بل ورقم الهاتف الشخصي، فيما يشبه الالتماس بأن يشعر أنور أنه "أحدهم." هذا السلوك الفردي، الذي لا يمكن فصله عن الثقافة العامة السائدة آنذاك، يعكس استعدادًا أمريكيًا صادقًا لاستيعاب المهاجر، وتسهيل اندماجه في المجتمع الجديد، دون أن يشعر بالاغتراب أو الملاحظة الفارقة.

وفي مشهد آخر، يتجلّى هذا الاحتضان حين تستقبله موظفة اللاجئين، جيسيكا، بابتسامة صافية، وتقوده بنفسها إلى شقة مجهّزة في مجمّع سكني منظم، وتُسهم في توفير الرعاية الطبية له، ثم تلحقه بمعهدٍ لتعليم اللغة الإنكليزية. لم يكن أنور آنذاك بحاجة إلى إثبات حسن نيّة؛ بل كانت البنية المؤسساتية نفسها قد أُعدّت لتستقبله، وتؤهله، وتوفر له شعورًا بالحياة الآمنة، حتى قبل أن يستوعب تفاصيل البلد أو اللغة. ثم تكتمل صورة الودّ المجتمعي حين تستقبله لوري، الطبيبة الأمريكية، في منزل عائلتها:

"استقبلَته العائلة بحفاوة في منزلها الكبير في ويست هارليم، وخصّصتْ له غرفةً في الطابق العلوي مجاورة لغرفة لوري. لم يكُن الأمر مألوفاً بالنسبة لشاب شرقي، ولا يجب أن تُترك القطّة بجوار اللحم حسب القول الشرقي المأثور، كانت لوري قطعة لحم شهيّة تسيل لعاب القطط والمفترسات الأخرى"[٣٠].

تخاطبه ابنه السيد تود (لوري) بخجل بعد أول لقاء لهما، مستغربة مظهره الذي يتنافى مع الصورة النمطية التي خلقها الإعلام عن مواطني الشرق الأوسط:

"أنا آسفة يا سيدي، لكنك في الحقيقة لست كما تصورتك. سأكون صريحة معكَ، تصوّرتُ شخصاً أسمر البشرة، مجعّد الشعر وقصير القامة، يتحدّث بلكنةٍ غريبةٍ، وبدين نوعاً ما. لا أقصد الإهانة لكن هذه الصورة التي رسمتها مخيّلتي عن شخص شرقي تحدّث

معي بلكنة غريبة على الهاتف[٣١]".

بهذه العبارة، تتكشف خلفيةٌ ضمنية، منبثقة من تصوّرات إعلامية نمطية، لكنها لا تصمد أمام الحضور الإنساني المباشر. أنور، القادم من ضفاف الوجع العربي، لا يجد نفسه موضوعًا للريبة، بل مدعوًّا للمشاركة، وللعيش، وللضحك. إنّ المجتمع الأمريكي كما صوّره الراوي قبل الحادي عشر من سبتمبر، بدا كمسرحٍ إنسانيّ متعدّد الأدوار، لا يتوجس من الغريب، بل يمنحه دورًا، ومساحة، وفرصة. ذلك الزمن، الذي لم يكن فيه اسمك أو لونك أو صلاتك تُهمة، هو ما تحاول الرواية أن تُخلّد ذكراه، لا بصفته ماضٍ مثاليّ، بل شهادةً على ما يمكن أن يكون عليه المستقبل، إن عادت المجتمعات إلى إنسانيتها الأولى.

ثانياً: التغييرات الحادة التي طرأت بعد الحدث، وما أفرزته من صراعات نفسية وهوية متوترة:

شكّلت أحداث الحادي عشر من سبتمبر لحظة مفصلية في الوعي الجماعي الأمريكي والعالمي، لا بوصفها حدثًا إرهابيًا فحسب، بل بوصفها نقطة انعطاف ساهمت في إعادة تشكيل الخطاب الإعلامي والسياسي، وتغيير العلاقة بين "الذات" الأمريكية و"الآخر" المسلم. وقد رصدت رواية حلم ثلاث سنوات للروائي مصطفى رسول هذا التحول بعين سردية دقيقة، كاشفةً ما خلّفته تلك اللحظة من زلازل نفسية، وتصدعات هويّاتية، وانهيارات في العلاقات الاجتماعية والإنسانية. من خلال شخصية أنور، العراقي المسلم الذي يعيش تجربة الاندماج ثم الإقصاء، تقدم الرواية نموذجًا حيًا لتفكك المعايير الأخلاقية والاجتماعية في مجتمع يدّعي الحداثة، لكنه لم يصمد أمام موجة من الخوف الجماعي والكراهية الممنهجة:

١: الإعلام كأداة لإنتاج الكراهية وإعادة تشكيل الوعي الجمعي:

تبدأ الرواية بوصف الدور الذي لعبه الإعلام الأمريكي في أعقاب الحدث الإرهابي، حين لم يكتفِ بنقل الأخبار، بل صار مصنعًا للصور النمطية ومصدرًا للتحريض.

"لم يفرق الناس بين المسلم والإرهابي، وبمساعدة القنوات الكبرى تأجّجت مشاعر الكراهية، وتلاعبت الأخبار بعواطف الملايين وحرّضت بطريقة أو أخرى ضد المسلمين".

بهذه اللغة التقريرية الصادقة، يكشف السرد كيف أسهم الإعلام في تغذية سلوك "القطيع"، حيث تخلّى الناس عن عقولهم، وسلّموا أنفسهم لصورة نمطية تُعرّف المسلم بأنه إرهابي وخطر محتمل. إن "الإرهاب" لم يُنسب إلى الأفعال، بل إلى الهوية الدينية ذاتها، فأصبح المسلم متهمًا لمجرد اسمه أو ملامحه أو لباسه. وفي هذا السياق، يستحضر السرد استضافة القنوات الأمريكية لأصوات متطرفة، لا لتفسير الحدث أو تفكيكه، بل لتبرير ردود الفعل العنيفة، ولتغليف الكراهية برداء من "الغضب المشروع."

٢: انهيار الثقة الاجتماعية وتحول القرب إلى عداوة

من أكثر مشاهد الرواية بلاغة ووجعًا هو ما جرى بين أنور وزوجته "لوري"، التي كانت تمثل في السابق رمزًا للحب والتفاهم العابر للثقافات. لكن بعد الحدث، لم تقف لوري في صف أنور، بل كانت أول من طرده من حياته، ويضيف الكاتب:

" كشفتْ عيناها (لوري) عن نظرات بغض طغت على عشقها لأنور! خفّت موازين زوجها ومالت الكفّة باتجاه كراهية عمياء لكُلّ ما هو إسلامي، أشخاص، ملابس، مساجد، ومطاعم! تمنّى الشاب الموت على سماع طعنات خنجر مسموم تنطلق من فم لوري[٣٢] .

هذه المفارقة ليست مجرد انعكاس لحالة فردية، بل هي رمز لانقلاب القيم الاجتماعية رأسًا على عقب، حين تهزم العاطفة أمام وهم الخطر، ويُستبدل الإيمان بالآخر بالريبة منه. لقد فشلت "الحميمية" أمام "الإعلام"، وخسرت الزوجة المعركة لصالح الماكينة الإعلامية التي اختطفت عقول ملايين الأمريكيين. بل إن أنور لم يجد من يؤنس غربته إلا كلب العائلة:

"لم يرحب به إلا كلبهم الصغير (روي) الذي بقي على وفائه المعهود"[٣٣].

وهنا، تتعالى السخرية الموجعة من المشهد؛ حين يبقى الحيوان وفيًا، في الوقت الذي خان فيه الإنسان حتى أقرب الناس إليه.

٣: من الشك إلى الاتهام - آلة التحقيق والهوية المهددة

لا تتوقف معاناة أنور عند العائلة والمجتمع، بل تمتد إلى مؤسسات الدولة ذاتها. ففي صفحة (٢٠٧) من الرواية، نراه يُستجوب من قبل محققي مكتب التحقيقات الفيدرالي، الذين لا يملكون دليلاً ضده سوى كونه مسلمًا:

"أنت هنا بتهمة الاطلاع بهجمات (١١-٩) ربما لم تكن ضمن المنفذين، ولكنك ربما أحد المخططين"(٣٤).

هذه الفقرة تجسد لحظة مأزق وجودي، حيث يسقط الخطاب القانوني الأمريكي، ويُفترض الذنب بسبب الخلفية الدينية والثقافية. ويجيب أنور باستنكار:

"كنت في العمل أثناء وقوع الحادث المشؤوم... دقائق لمكان عملي ستؤكد كلامي وبطلان اتهاماتك".

لكن الحقيقة هنا لا قيمة لها أمام الرغبة في إيجاد "عدو"، والعقل المؤسسي يبحث عن كبش فداء يواسي به ذاكرته الجريحة.

٤: المرأة المسلمة والجسد كحقل للنبذ الرمزي والجسدي

لم تكن النساء المسلمات بعيدات عن عاصفة الكراهية، بل كنّ في مركزها، حيث تعرضن للاعتداءات والتحرش والتجريد من الحجاب في الأماكن العامة.

"أُجبرت بعض النسوة على التخلي عن حجابهن خوفًا من الأذى... الاعتداء اللفظي والجسدي، والتحرش الجنسي"(٣٥).

يتحوّل الجسد المسلم إلى ساحة حرب رمزية، يُستهدف بوصفه تعبيرًا عن انتماء ديني. وهذه الممارسات العنيفة لم تجرِ في الخفاء، بل أمام أعين السلطات التي غضّت الطرف، أو تعمدت التأخير في نجدة الضحايا، عنف جسدي وأعمال طالت المسلمين وممتلكاتهم، كما يقول السرد:

"تعمّدت الشرطة التأخّر في الاستجابة لنداءات الاستغاثة التي أطلقها المسلمون، بعد تعرّضهم لجرائم قامت بها جماعات مجهولة للشعب ومعروفة للشرطة، جماعات أقلّ ما يُقال عنها إنَّها جماعات إرهابية، لن ينعتهم أحد بالإرهاب، وسيكتفون بتسميتهم (الغاضبون)!"(٣٦)

بهذا، تتخلى الدولة عن حيادها، وتترك الهويات المستضعفة نهبًا لمخالب الجماعات العنصرية، في إدانة مزدوجة للدولة والمجتمع معًا. فالجرائم البشعة التي ارتكبتها العصابات ضد المسلمين تم تبريرها من قبل الإعلام واكتفت القنوات بتسمية تلك الجرائم (رد الفعل).

٥: الصراع النفسي والاغتراب الداخلي

أنور في لحظة جلوسه على عتبة البيت المطرود منه، يجسد غربة داخلية لا تُشبه غربة المكان، بل غربة الذات عن نفسها. يقول السرد:

"جلس أنور على عتبة باب منزله غارقًا في حزنه... الحياة في نزال ملاكمة معه ويتلقى الضربة تلو الأخرى."(٣٧).

لم يعد أنور في حرب مع الخارج، بل مع ذاته، مع ذاكرته، مع تاريخه، ومع علاقاته التي تبخرت دفعة واحدة. إن لحظة الطرد من البيت تمثّل طردًا رمزيًا من الانتماء والاعتراف، وعودة إلى حالة من "اللاوطن" واللاهوية.

تُقدّم رواية حلم ثلاث سنوات شهادة إنسانية مؤلمة عن انهيار القيم، وتمزق النسيج الاجتماعي، ودفن بقايا الأخلاق في مقابر الحقد والكراهية. تتحوّل الهوية إلى عبء في مجتمع يزعم الدفاع عن الحرية، لكنه لم يتردد في تجميدها "حتى إشعار آخر". لقد صار المسلم مرآة لذعر الغرب، وكُتب عليه أن يدفع ثمن جريمة لم يرتكبها، في رواية تحوّل الإنسان فيها إلى ضحية مزدوجة: ضحية لحدثٍ لم يختره، ولذاكرة جماعية أعادت كتابته بأسلوب الإقصاء والشيطنة. وبينما كانت الحرية شعار البلاد، أصبحت الكراهية دستور المرحلة، وصار الحب مهددًا، والهوية مهزوزة، والبيتُ، بكل حنانه المفترض، مجرد جدار يُغلق في وجهك بصوتٍ عالٍ:

"إيّاكَ أن تطأ قدمكَ منزلي أيّها الإرهابي. رمت الحقيبة التي حوت بعض مقتنياته الشخصيّة وصرخت: اغرب عن وجهي أيّها القاتل"(٣٨).

الخاتمة والنتائج:

بعد قراءة متعمقة لرواية حلم ثلاث سنوات للروائي مصطفى رسول وتحليلها سوسيولوجيًا، يتبيّن لنا أن هذا النص لم يكن مجرد حكاية سردية لشخصية فردية عابرة، بل كان نصًا كاشفًا لبنية مجتمع بأكمله، نصًا يحمل في طياته خطابًا نقديًا صارمًا ينفذ إلى عمق الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي أحاطت بالإنسان العراقي في فترة التحولات الكبرى.

لقد توصل البحث إلى جملة نتائج دقيقة، يمكن تفصيلها كالآتي:

١.الهجرة فعل احتجاج صامت:

كشفت الرواية أنّ الهجرة لم تكن مجرد انتقال جغرافي بل شكلت تمرداً واعيًا على واقع جائر سحق أحلام الشباب العراقي في ظل الحصار الاقتصادي والطائفية وانعدام فرص العمل. إذ عكست شخصية أنور حامد هذا التمرد في رحلته المليئة بالقلق والرجاء، ليصبح رمزًا لجيل كامل هاجر تحت وطأة الحاجة والكرامة المهدورة.

٢.البطالة لعنة اجتماعية ونفسية:

أظهرت الرواية أن البطالة تجاوزت كونها مشكلة اقتصادية لتتحول إلى لعنة نفسية واجتماعية تُحطّم الإنسان في داخله قبل أن تُحطّمه ماديًا، فتدفعه للهجرة أو الانتحار الرمزي، بعد أن يفقد معنى وجوده في وطنه الذي حرمه من حقه الطبيعي في العمل والكرامة الإنسانية.

٣.لطائفية كجدار عازل وتمثيل للتفكك:

قدمت الرواية الطائفية على أنها ظاهرة مصطنعة غذتها المصالح الضيقة والتعصبات التاريخية، لكنها في ذات الوقت طرحت رؤية إنسانية مغايرة من خلال زواج والدي البطل وصداقة الشخصيات المختلفة مذهبيًا، لتؤكد أن وحدة الوطن ممكنة متى ما تراجع التعصب أمام صوت المحبة والإنسانية الجامعة.

٤.صراع الطبقات كآلية سحق وقهر:

أبرزت الرواية التفاوت الطبقي الصارخ الذي أنتج بؤسًا مضاعفًا للفقراء، حين حُرموا من حقوقهم وأحلامهم رغم كفاءاتهم، بينما امتلك أصحاب النفوذ كل شيء بلا جهد. وقد تجلى ذلك في رفض أنور لهدايا لبنى رغم فقره المدقع، ليؤكد أن الكرامة أغلى من المال الملوث بالذل.

٥.سوسيولوجيا المجتمع الأمريكي ما بعد ١١ سبتمبر:

أما في بعد الرواية الأمريكي، فقد رصدت تحولات عميقة في بنية المجتمع بعد أحداث ١١

سبتمبر، حيث انتقل المسلم من كونه مهاجرًا مرحبًا به إلى متهم مطرود، يطارده الإعلام والأجهزة الأمنية وحتى أقرب الناس إليه، ليتحول الحلم الأمريكي إلى كابوس ينذر بفقدان الهوية والانتماء الإنساني.

٦. الهوية الممزقة وضياع الإنسان بين الوطن والمنفى:

أثبتت الرواية أن مأساة المهاجر لا تنتهي بعبور الحدود، بل تبدأ هناك حين يجد نفسه غريبًا عن وطن لفظه وواقع لم يحتضنه، ليبقى معلّقًا في حالة اغتراب مزدوج، يغذيه فقدان الأمن الروحي والقبول الاجتماعي، ويتحول كيانه إلى سؤال مفتوح عن معنى الانتماء والإنسانية في عالم تسيّده المال والعنصرية والخوف من الآخر.

بصورة عامة:

تؤكد هذه الدراسة أن رواية حلم ثلاث سنوات تمثل وثيقة اجتماعية أدبية ذات أبعاد إنسانية كبرى، إذ قدمت سردًا واقعيًا ناقدًا جمع بين الحس الجمالي والتشريح السوسيولوجي الدقيق للظواهر، فصاغت خطابًا وجوديًا يواجه سؤال المصير والحلم والهوية والانتماء، وأثبتت أن الأدب لا يروي فقط؛ بل يكتب التاريخ الموازي للناس المسحوقين، ويحفظ وجعهم كذاكرة حيّة لا تموت.

هوامش البحث

(١) ريمون بودون، المعجم النقدي لعلم الأجتماع، ترجمة:د. أحمد حسان، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ٢٠٠٧م، ص٤٣٧ .

(٢) فيلسوف فرنسي توفي ١٩١٧.https://iep-utm-edu.translate.goog/emile-durkheim

(٣) دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمد دويدار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص٦٢.

(٤) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي توفي ١٨٥٧م.https://ar.m.wikipedia.org/wiki

(٥) أوغست كونت، دروس في الفلسفة الوضعية، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٠م، الجزء الثالث

(٦) باحث وكاتب مغربي https://www.mominoun.com/auteur/107

(٧) غريب، عبدالكريم، علم الاجتماع:المفاهيم والأسس، دار النشر المغربية،الدار البيضاء ٢٠٠٤م،ص١٢.

(٨) نقلاً عن الروائي مصطفى رسول فاخر، بتأريخ ٢٣-٥-٢٠٢٥ .
(٩) بورديو، بيير٢٠٠٢، عالم اجتماع فرنسي،"التفكير العملي: مقالة في النظرية الاجتماعية". ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، ص ٢٥.
(١٠) بورديو وصياد، الاقتلاع: أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر، ص١٨٨.
(١١) رسول، مصطفى، حلم ثلاث سنوات، ص١٧.
(١٢) الوردي، علي، وعاظ السلاطين، الطبعة الأولى،١٩٥٤، دار المعارف،بغداد، ص ٧٦.
(١٣) رسول، مصطفى، حلم ثلاث سنوات، ص١١.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٧.
(١٥) رسول، مصطفى، حلم ثلاث سنوات، ص٢١.
(١٦) رسول، مصطفى، الرواية، ص١٦.
(١٧) ويبر، ماكس، الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة فؤاد زكريا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٢،ص٢٥-٣٠.
(١٨) وبير ماكس، الاخلاق البروتستانتية ورح الرأسمالية، ص٥٢٠.
(١٩) كنفاني، غسان، رجال في الشمس،دار الوطن للنشر والتوزيع،الاردن،٢٠١٦ الطبعة الأولى.
(٢٠) هوغو،فيكتور، رواية البؤساء، ترجمة:عماد يحيى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٤.
(٢١) ماكليلان، ديفد، كارل ماركس: سيرة فكرية، ترجمة:فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ص١٧.
(٢٢) ماركس، كارل، المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام١٨٤٤، ترجمة: محمدعلي خالد، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت١٩٩٥، ص١١٢
(٢٣) رسول، مصطفى، الرواية، ص٩٢
(٢٤) رسول، مصطفى، الرواية، ص٩٣
(٢٥) رسول، مصطفى، الرواية، ص٩٤
(٢٦) محفوظ،نجيب، رواية اللص والكلب، دار مصر للطباعة، القاهرة ١٩٦١
(٢٧) منيف، عبدالرحمن، رواية شرق المتوسط، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت١٩٧٥
(٢٨) رسول، مصطفى، الرواية، ص٩٥
(٢٩) رسول مصطفى، الرواية، ص٣٠
(٣٠) رسول، مصفى، الرواية، ص٣٢
(٣١) المصدر نفسه،ص٣٣
(٣٢) رسول، مصطفى، حلم ثلاث سنوات، ص١٩٦
(٣٣) نفس المصدر، ص١٩٦

(٣٤) نفس المصدر،ص٢٠٧
(٣٥) نفس المصدر، ص١٩٥
(٣٦) نفس المصدر، ص٢٠١
(٣٧) نفس المصدر،ص١٩٧

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - الكتب:

١.ردیو، بییر(٢٠٠١). التفكير العملي: النظرية الاجتماعية. ترجمة عبد السلام بن عبد العالي. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى.

٢.دوركايم، إميل (١٩٩٤). قواعد المنهج في علم الاجتماع. ترجمة: محمد دويدار، دار المعرفة الجماعية، الاسكندرية -مصر، الطبعة الأولى.

٣.كونت، أوغست. (١٩٨٠) دروس في الفلسفة الوضعية، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى.

٤.غريب، عبد الكريم. (٢٠٠٤) مقدمة في علم الاجتماع: المفاهيم والأسس، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

٥. الوردي، علي.(١٩٥٤). وعاظ السلاطين، دار المعارف، بغداد، الطبعة الأولى.

٦. محفوظ، نجيب.(١٩٦١)،رواية اللص والكلب، دار مصر للطباعة، القاهرة، الطبعة الأولى.

٧. منيف، عبد الرحمن(١٩٧٥). شرق المتوسط، دار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٨. كنفاني، غسان(٢٠١٦) رجال في الشمس، دار الوطن للنشر والتوزيع، الاردن، الطبعة الأولى.

٩. هوغو، فيكتور(٢٠١٤).البؤساء، ترجمة: عماد يحيى، دار التنزير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٠. رسول، مصطفى.(٢٠٢٢) حلم ثلاث سنوات، دار روافد للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى.

١١.السباعي، يوسف(١٩٩٨)، رواية:رد قلبي، مكتبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٢. الربيعي، عبدالرحمن مجيد(١٩٧٢)،بين القصرين والصريفة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى.

١٣. وبير، ماكس(١٩٩٢).الاخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى.

١٤.ماكليلان، ديفد(٢٠٠٤). كارل ماركس: سيرة فكرية، ترجمة: فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥. ماركس، كارل(١٩٩٥). المخطوطات الاقتصادية والفلسفية لعام١٨٤٤، ترجمة: محمد علي خالد، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى.

١٦. بيير بورديو، عبد المالك صيّاد(١٩٨٥). الاقتلاع: أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر. ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، محمد سبيلا، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى..

ثانياً - المقالات والدوريات العلمية:

١. أكبرى، فاطمة. "دراسة سوسيونصية في رواية *ذاكرة الجسد* لأحلام مستغانمي". *مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها* ، العدد ١٩، ٢٠١٤.

٢. لخداري، نادية. "النقد السوسيولوجي بين المنهج التجريبي والمنهج البنيوي والتكويني". *مجلة إشكالات في اللغة والأدب* ، المجلد ٨، العدد ٥، ٢٠١٩، الصفحات ٤٨-٦٣.

ثالثاً - الرسائل الجامعية:

١. عباسي، صالحة. *سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي المعاصر*. مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وآدابها، قسم اللغة والأدب العربي، ٢٠١٢.

رابعاً - المصادر الإلكترونية

1. . https://iep-utm-edu.translate.goog/emile-durkheim
2. . https://ar.m.wikipedia.org/wiki
3. https://www.mominoun.com/auteur/1076